كلمة جامعة دمشق

ألقاها الأستاذ الدكتور خالد حلبوني

عميد كلية الآداب

السادة الحضور

الزملاء المشاركون

تحية الثقافة والمثقفين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فإن الأمة ثريّة برجالها، خصبة بأعمالها، وذلك حين تنطلق إمكانات الروح والعقل، وتتحول إلى نشاط يفترع المستحيل بزحف دؤوب، يخترق الآفاق، ويثابر على صيانة الماضي بابتكار العوالم، وإزاحة الشوائب، ببصيرة يقظة، ووعي يوظّف ثراءه لتزكو العبقرية، ويتجوهر البحث الخلاق.

ويشرئب الدكتور محمد إحسان النص ليمارس الإبداع عبر سنوات حياته، فيكشف المضامين، ويضيء المناهج، عبر كينونة عصيّة على الإعياء، كأنها سحرٌ مَصُونٌ، يستحضر سبيكة التاريخ الأدبي، ليصوغ منها دراسات تتحلب دسمًا في آنية البحث، بعقل تحليلي، ونظرة ثاقبة، ورأي حصيف، وأسلوب يتّسم بخصائص قد يتعذر تجاوزها كواقعة موضوعية، ونماذج كتابية تمتلك سرّ الرّسوخ، وتحرّض على نبش الرّكام الحضاريّ، وتُغذيه فيتوهّج خصوبة وحيوية.

ومن تَلْمَذَ عند الدكتور إحسان النص، أو مَتَّع نفسه وفؤاده بتلاوة ما كتب، فإنه سيحظى ببرهة جماليّة لا يستطيع النأي عنها، كأنها نجوم مشدودة بأمراس إلى صمّ جندل. فإبداع الدكتور إحسان قد أحسن إلى الماضي الأدبي الورديّ الغابر، إذ أبرزه لحظاتٍ بهيّة، شديدة الارتواء، من خلال منهج متكامل حرص فيه على استيعاب الأبعاد الثلاثة للنص الأدبي، استيعابًا، وعمقًا، وتحليلًا.

أيها السادة

ونحن نجتمع في هذه السّاعة تلوح لنا منارة الدكتور إحسان ـ رحمه الله ـ تتجدّد كلّ حين، وتتلامح كملّاح يقود السّفينة ليهتدي بها الآخرون.

فنحن أمام صورتين لا انفكاك بينهما:

- صورة الخصوبة الأدبية.
- صورة نقاء الرّؤية النّقدية.

وهذه الثّنائية تتوالف بتوازٍ وافرٍ، يؤسّس لتيار البحث الموضوعي، والرّؤية الإيجابية، فيكون التحليل ابتغاء إثبات مقولة أو تنفيذها.

فلم يكن النقد الأدبي عند الدكتور إحسان تقليديًا، بل هو خلاصة وحدة متكاملة متماسكة، تقرأ ما وراء الظّاهر، وتحذف النظرة السطحية الأفقية، فحلّت العمودية محل الأفقية، واستبدلت الموضوعيّة بالشموليّة. وتبدّى ذلك خاصّة في رسالته لمرحلة الماجستير، ورسالته الأخرى لمرحلة الدكتوراه، حيث شمّر عن ساعد الجدّ، واستجاب لتحدّيات البحث، وكأن لسان حاله يقول:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت أنني عُنِيْـت فلـم أكسـل ولـم أتبلّـد

أيها السادة

الأحياء هم أصحاب الفكر والوعي، وإن غادروا الحياة، فإن آثارهم تدل عليهم، وسطور إبداعهم تكافىء دروبهم اللاحبة، وحدائقهم النابتة لا تندثر.

وإذا كان (غوته) يقول أنه تعلم من (هوميروس) درسًا فحواه أنّ علينا أن نصنع الجحيم في الأرض، فإن الدكتور إحسان النص آثر أن يكون عطاؤه مكلّلًا بذهبيّة الكلمة، وخيريّة الهدف، فقدّم دراساته دون فلسفات فارغة لا معنى لها، فإذا به يجمع بين تعليم الطّلبة على محور أكثر من جامعة وأكثر من بلد، وبين امتشاق اليراع ليهب أدبًا فنّيًّا، وبلاغة آسرة، وسيرة حياةٍ تستحق التقدير.

لقد أحب الدكتور إحسان اللغة العربية، فكانت مطواعة له، وسبر أغوارها، فحيّته مضامينها، وكان غيورًا عليها، مدافعًا عنها، فانساقت له جوهريتها، ونهل منها، فنبتت في كتاباته مراعي مخضوضرة، وينابيع متدفقة.

أيها السادة

هذه هي الشام قد ودعت أحد رجالاتها، الذين أضفوا على الأدب العربي، والكتابة الفنية، بصمة إشعاع، وإيجابية تصوّر، وصدق هوية.

فالشام ما برحت مهوى خواطرنا والشّام قبلتنا في كلّ ديجور
والشّام سيفٌ لمجد العرب قاطبة يجزّ شَأْفَةَ خوّانٍ ومأجور
والشّام تبقى على الأيام حاضرة حتى تعمّد جفن الحقّ بالنور

والدّعوة قائمة لرعاية رموز الفكر والإبداع في الوطن العربي، بسعي حثيث، لنشر ما صنفوه، لنرفد الحركة الثقافية العربية بدرر الكتابات الشامخة، التي لها أثرٌ في بؤرة الوعي، بما أبدعت، فهي جذوة الفكر، وفجر الكلمة.وكُلِّي رجاءٌ أن تتحقق هذه الأمنية،

لنحافظ على الفعاليات الفكريّة، ونحرص على إضفاء الطابع الحضاري على الأمة دون توقف، ونكون بمستوى المحتفى بهم، أولئك هم صنّاع الأدب، ومعلّمو الأجيال، وكلّ واحد منهم علم فرد، والسلام كلّ السلام على من حمل يراع العربية، واحتضن لغة الضاد، وحرق عمره في تعلّمها وتعليمها، فحقق بذلك فعالية المحبة، وأبدى بسلوكه تفانيًا لا يحدّ.

وكل المحبة للسادة الحضور، ولهم مني وافر التحية.